عم جمعة

بقلم : كمال مرسى

كانت الشمس طالعة ...

ورذاذ مطر خفيف يغسل ـ بالرغم منها ـ كل شيء ...

أسقف اكشاك الصحف وأسفلت الطريق الكبير ، والعربات ، وكلبا ضالا هزيلا يحاول عبور الشارع فتكاد تدهمه السيارات ...

وتوقف الكلب قليلا ... محتميا بجدار المراحيض المدفونة فى بطن الطريق فلا يكاد يبين منها سوى سقفها المنخفض ، وهز جسمه مرة ... أو مرتين لينفض عن شعره حبات الماء .. ثم تابع سيره ...

كان المطر المنهمر قد انقطع ... وبقيت الشمس وحدها ... وغادر (عم جمعه) المكان الذى احتمى فيه بجوار كشك الصحف وهو ينفض بيديه المعروقتين حبات الماء قبل أن يتشربها معطفه المهلهل ...

ـ ما هو بدرى يا عم جمعة ...

قالها (عباس) صاحب كشك الصحف بصوته الرفيع المرح الودود .. لكن عم جمعه هز كتفه وقال فى ملل وهو يشير برأسه الى السماء :

ـ آهى بطلت ...

ـ طيب وماله ... آدنته مؤانسنا .

فى هذه اللحظة تماما جاءت سيارة جديدة تريد الانتظار فى الموقف فأسرع عم جمعه ناحيتها قائلا :

ـ هات ورا يا بيه ... اكسر يمينك قوى ... هات .. هات ..

بس ...

ثم راح يرفع زجاج النافذة الأمامية ليقفله .. وهبط (البيه) من السيارة ثم أغلق بابها بمفاتيح فى يده وهو يرمق عم جمعه فى ريبة فعدل هذا من وضع النمرة النحاسية فوق ذراعه ولم يقل شيئا ...

وراح عم جمعه ـ على غير عادته ـ يتتبع بنظره الكليل ، البيه حتى ابتعد وعبر الشارع الكبير ورآه يقف هناك ... بين الزحام .

ـ بيه ... احنا اصطبحنا بوش مين النهاردة .. ؟

البيه لا بد سيدخل (السينما) ما دام قد وقف فى الطابور الطويل المنتظر أمام شباك التذاكر ... ومعنى هذا ان صاغا آخر سيضيع عليه لأنه سيخرج من السينما فى الساعة ستة ووردية عم جمعه ستنتهى فى الرابعة

... وسيأتى (الواد عكاشة) ليستلم الموقف مكانه ... وطبعا سيقبض من السيارات التى ستغادر الموقف فى ورديته ... هكذا شاء الرؤساء أن يقسم العمل بينهم .. وهذه أرزاق ...

وراح جمعه يدندن بموال البلدى (يا ميت ندامه على اللى حب ولا طالشى) والصوت ينبعث خافتا شجيا تختلط به نبرة ساخرة فى شجن .. وهو يدور حول السيارة الجديدة ليطمئن على غلق أبوابها .. وعاد يرمق طابور السينما وهو يذوب سريعا أمام شباك التذاكر فتبتلعه الابواب الفخمة ... وتذكر جمعه طوابير أخرى طويلة ... مسكينة ... طوابير من النساء كانت امرأته المريضة تقف فيها ساعات بحالها .. وطفلته أنيسة الصغيرة تلوذ بذيل جلباب أمها الأسود لكيلا تضيع فى الزحام ... وراحت حكاية (البنت أنيسة) تطفو الى رأسه ... الحكاية بكل تفاصيلها التى تؤرق لياليه حتى تصير كالفحمة منذ أيام والبنية ... أنيسة الصغيرة ... حالها عجب .. !! كفت عن لعبها مع أولاد الجيران وتكومت فى استكانة ذليلة بجوار أمها المريضة الراقدة على المرتبة الممدودة على أرض الحجرة الرطبة ... ولا تريد أن ترخى عينيها عن وجه أمها الذابل كليمونة معصورة ...

وبالأمس .. بالأمس فقط انسكب السؤال الذى كان حائرا منذ أيام فى عينيها الواسعتين ... انسكب فى سمعه كلمة كلمة ، كلها مخنوقة كأنها دموع ترتجف على الشفاة الصغيرة .

ـ صحيح يابا ، الحمة اللى تجيب دم ... مش ممكن تطيب ؟

ـ هس .

وانسابت اجابته فى حشرجة مجروحة خانقة حتى لا تفيق الأم المريضة من غفوتها ... ولكنه لا يذكر ما قال وقتها ... كل الذى يعرفه الآن انه لا يستطيع أن يفعل شيئا فقد جربت امرأته الوقفة فى تلك الطوابير الطويلة أمام المستشفيات .. فى بولاق .. فى الدرب الاحمر .. وأحيانا فى الروضة .... صحيح انه قال مرة للبنت أنيسة ان الطب هذه الأيام تقدم ولكن عياله ... منصور وخليل الصغير يمضغون أولا بأول كل قرش يدخل فى جيبه .. وعم جمعه لا يستطيع لذلك أن يرسل امرأته الى طبيب خاص ...

ـ يا واد يا عبس ... سجر بقى ان شاء الله ما حد حوش ... قالها عم جمعه بصوت مشروخ عال ليهرب من خواطره .. وطارت سيجارة من كشك الصحف فتلقفها جمعه شاكرا ووضعها خلف أذنه ... ثم سار بخطى مكدودة بين السيارات المرصوصة حتى وصل الى المراحيض فجلس فوق سقفها المنخفض ... ووضع ساقه الخشبية بجواره .. وأحس بعد ما جلس كأن ساقه السليمة لفرط ثقلها قد استحالت الى عمود من رصاص فأخذ ينظر الى أصابع قدمه وهى تطل من ثقب كبير فى جزمته الكاوتش ... ثم راح يلعب هذه الاصابع .. وابتسم وهو يرفع صوته :

ـ انت يا للى هناك .. بتعمل ايه عندك ... ؟!

ومن بعيد أشـــار رجل غارق فى الاسمال الى كوز السبارس فى يده ٠٠ كان جمعه يحســـبه يعبث باحـــدى السيارات ٠٠٠ وعادت عينـــاه تطوف بالموقف كله ٠٠٠ لم يعد فى الفضـــاء الفســـيح الواقع بين مبنى المحـــكمة والمراحيض مكان لسيارة أخرى ٠٠٠

ان عم جمعة يخشى السيارات ويكرهها منذ أكلت ساقه ، ســـيارة مجنونة فى شارع القلعة ٠٠٠ ولكنه بعد أن فصلوه من الورشة لاصابته لم يجد غير شغله (المنادى) وقرفها ٠٠ وأصبح عليـــه أن يحرس تلك السيارات التى يمقتها ٠٠٠ وان يدور حولهـــا كالنحلة طول النهار وعيناه فى وســـط رأسه حتى لا تصاب سيارة منها بخدش ٠٠٠

ودار فى هذه اللحظة محرك سيارة كانت فى الموقف فانمحى فجـــأة الملل الراكد فى عينى عم جمعه فانبرى يصيح بحماس :

ـ أيوه يا بيه ٠٠٠ جاى ٠٠

ثم أسرع يعبر الطريق الضيق بين السيارات المرصوصة وساقه الخشـــبية تدق الاسفلت اللامع فى خطوها الملهوف نحو السيارة ٠٠٠

وبدأت تتحرك ٠٠٠

وعم جمعه كاد فى اسراعه ينكفىء على وجهه ولكنه لم يستطع اللحاق بها ٠٠ كانت هذه هى رابع مرة : فى هـــذا النهار ٠٠٠ يسب فيها عم جمعه ساقه الخشـــبية ولكنه يحس هذه المرة انه ظلمها ٠٠٠ فالســـيارة الملعونة أسرعت فجأة فى مسيرهـــا كأنها تفر منه ٠٠٠ وتخيل عم جمعه وجه صاحبها الاحمر السمين وياقته المنشية ٠٠ وابتســـامة صفراء شامتة تتراقص على شـــفتيه وتسخر منه وهو لا يســـتطيع اللحاق بالسيارة ٠٠ ورآها من بعيد تبتلعهـــا زحمـــة الشـــارع الكبير ٠٠ فبصق على الارض ٠٠ ثم وصل الى المراحيض وتذكر السيجارة خلف اذنه فاشعلها ٠٠٠ كان الموقف ما زال مليئا بالسيارات على كل لون ولكنه قال لنفسه : (آهى عربيات متلقحه زى الجتت الميته وكلهـــا حبتين ويجى الواد عكاشه يستلم الموقف ٠٠ ما تشوف لك موته قبل ما يغلى الموت) ثم أخذ نفسا طويلا من السيجارة وعاد يقول لنفسه :

(اســـتغفر الله ٠٠ بكره خليـــل ومنصور يبقوا رجاله عال ٠٠ وتستريح يا جمعه ٠٠)

وقطعت فجأة خواطره ، يد توضـــع على كتفه وصاحبها يقول :

ـ مساء الخير يا عم جمعه ٠٠٠

كان الواد عكاشه قد جاء ليســـتلم الموقف مكانه ٠٠ فغادر عم جمعه سقف المراحيض وهو يضم معطفه الممزق حول بدنه الضامر وراحت ساقه الخشـــبية تدق فى خطوها المكدود ، الاســـفلت اللامع بماء المطر ثم ٠٠٠ ابتلعته زحمة الطريق الكبير ٠٠٠